مركز الكاشف للمتابعة و الدراسات الإستراتيجية
www.alkashif.org

مكيافيلّي في بلاد الرافدين:

نوري المالكي يبني الكيان السياسي

بقلم: نيد باركر

ربيع ٢٠٠٩

مجلة السياسة العالمية/ معهد السياسة العالمية

WORLD POLICY INSTITUTE
publisher of
WORLD POLICY JOURNAL

ترجمة : مركزالكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة العدد:

في هذا العدد ترجمة **لمقالة إستراتيجية مهمة ،** منشورة في **موقع معهد السياسة العالميـة/مجلـة الـسياسة العالمية** ، تشير في محورها الأصلي الى، إن **الحرب الأهلية أكدت متانة وتحمل الدولة العراقية الجديدة التـي يقودها الشيعة** ، وما تبع هذا الأمر من قيام **هدنة ممتدة،** بدأ رئيس الوزراء نوري المالكي من خلالها **بتعزيـز سلطته ونفوذه على القوات الأمنية العراقية مؤكداً سلطته على المحافظات، ومع هدوء الأوضاع فإن البلاد لـم تعد تشبه ديمقراطية ذات نمط أو أسلوب غربي الذي كان هدف الولايات المتحدة عندما قامت بغزو العـراق ، وإنما نموذجاً سلطوياً حكم العراق حتى عام ٢٠٠٣** ، مكان يوجد فيه **زعيم قوي يضمن الإسـتقرار** وتجمّـع المواطنين حول الدولة، مع وجود فارق واحد أساسي ومهم وهو **إن الأغلبية الشيعية في العراق هي التي تحكم في الوقت الحاضر وليست النخبة السنّية** ، وبعد سنوات من العنف **ونزوح الملايين** بدأ الشيعة والسنّة يجـدون السبل والطرق تدريجياً ويبطئ **لإستيعاب بعضهم البعض** وذلك كله **تحت نظر قائد واحد وراية واحدة في بغداد**.

فيما يلي أهم الأفكار المطروحة في هذه المقالة:

- حتى هذه اللحظة ، **ذلك القائد هو المالكي** ، وإغضابه وإستفزازه يعني **المخاطرة بمـضايقة** غيـر منتهيـة والنفي أو السجن ، وإقامة تحالف مع المالكي يمثل **فرصة لتحشيد السلطة** وكسبها وتأمين الحماية من الأعداء.
- وبغض النظر عن الإنتماءات الشيعية أو السنّية ، فإن العراقيين **مستعدون لقبول زعيم وقائد** يؤكد إرادته مع مزيج من المحسوبية والقوة، مما يؤدي الى إيجاد النظام وتوحيد البلاد.
- اذا ما جاء الحاكم من حزب ديني أصولي مثل المالكي فإن النتيجة جيدة **طالما يؤدي ذلك الى الإسـتقرار** . أما اذا تجاوز المالكي حدوده فإن **الإحتكاكات الناتجة قد تؤدي الى إشتعال العنف.**
- أعاد المالكي تقديم نفسه بإعتباره **وطنياً في نظر الكثير من العراقيين** الذين لم يعتقدوا بأنه سيشن هجوماً أو ينقلب على مجموعة من طائفته في أي وقت من الأوقات.
- وقد عملت معظم الأطراف على تهيأة وتعديل نفسها **وفقاً للديناميات الجديدة مع إعتراف الخاسرين بقـوة المالكي** وقدرته على إلحاق الأذى بهم.
- وقدرة رئيس الوزراء على **إستحضار الجيش الأمريكي،** تمثل كذلك وقفة تأمل لأولئك الذين ربما يـشكلّون تحدياً للدولة.
- إلقاء نظرة الى الجنوب يبين كيف **إستخدم رئيس الوزراء الإهتمام والرعاية لكسب العشائر الى جانبـه** ، وقد فرضت خطوات رئيس الوزراء تهديداً تجاه الشريك الشيعي الرئيسي الآخر في الحكومة وهـو **المجلـس الأعلى الأسلامي في العـراق،** الذي كان أكثر قوة من المالكي قبل أن يبدأ بتعزيز وجهة نظره في دولة قوميـة

قوية مع حملة البصرة ، **وقد دافع المجلس الأعلى الإسلامي في العراق منذ فترة طويلة عن إقامة دولة كبرى شيعية في الجنوب.**

- في إنتخابات مجالس المحافظات التي جرت في كانون الثاني هذا العام ، **أطاح المالكي بـالمجلس الأعلـى** الأسلامي في العراق في كل من بغداد وجنوب العراق.

- وسواء ظل رئيساً للوزراء أم لا بعد هذا العام ، فإن تركة وميراث المالكي ستتمثل في **إعادة تقديم وإنتـاج نموذج تقليدي يتمثل بنموذج الرجل القوي في السياسة العراقية**، ولكن ليس بصورة وحشية مثل صدّام حسين ولكن زعيم وقائد يرغب بضمان هدوء الأمة والدولة عن طريق **إستخدام الرعاية والعناية والقبضة الحديدية.**

- والآن وبعد الإنتخابات التي فازت فيها القوائم السنّية والعلمانية في ديالى بأغلبية المقاعد، فانه من المحتمـل أن **يمارس المالكي مجدداً نفوذه من خلال سيطرته على الجيش والقوات الأمنية** . رغبته في التصدّي لمنافسه الرئيسي وشريكه في الحكومة المجلس الأعلى الإسلامي في العراق ومنظمة بدر التابعة له، **ينبغي أن تُكـسبه الإرادة الطيبة والنية الحسنة من قبل السنّة.**

- اذا ما قام المالكي بإستبعاد الكثير من أعضاء الصحوة ، فإنهم من الممكن أن يطلبوا الحماية من القاعدة ، أو أية جماعة أخرى.

- إن الطريقة الأفضل بالنسبة للمالكي ، للتعامل مع السنّة تكمن في **التلاعب بين الفصائل ووضع كل فـصيل في مواجهة الآخر**، فمن جهة يستمر في خصومته مع الحزب الإسلامي العراقي ، وقام بتحقيق السلام مع بعض قادة الصحوة وإعتقل آخرين غيرهم.

- إن قدرته في كسب بعض الفصائل والتعامل بشدّة مع الآخرين، سوف **تمنع النخبة السنّية** في الـبلاد مـن التأثير على بعضها البعض، و**تشكيل تهديد جدي** يمكن أن يؤدي الى إسقاط الحكومة.

- هذا هو **الخوف المستمر العميق الجذور للاغلبية الشيعية في العراق**، الذين ندموا يوم إختـاروا محاربـة القوات البريطانية في عام ١٩٢٠ والتنازل عن حكم البلاد للأقلية السنّية حتى عام **٢٠٠٣.**

- ولكن بعد نجاح حملة البصرة التي أدت الى هزيمة جيش المهدي نتيجة للدعم الجـوي الأمريكـي، **داعـب المالكي رغبة البلاد في بروز قائد وطني قوي**، وبفضل إستحواذه المستمر على سلطة الجيش والـشرطة الـى جانب تمكنه من أموال الدولة، **تحدى المجلس الأعلى الإسلامي** في الوقت الحاضر.

- كانت فكرة المالكي بشأن قيام **حكومة مركزية** أكثر حضوراً وقبولاً مما حظيت به فكرة المجلس الإسـلامي بشأن **إقامة الإقليم الشيعي الكبير** ، الذي نظر اليه الكثير من العراقيين **بعين الشك** . ومع حصوله على الـزخم الشعبي و**ضمان المجالس العشائرية** في جيبه، بدأ المالكي **بكسب أنصار ومؤيدي المجلس الأعلى الإسـلامي**، ووصل الأمر الى أن بعض أعضاء هذا المجلس **أصبحوا مستعدين في الوقت الحاضر لإتباع رئيس الـوزراء** والسير تحت قيادته.

- أصبحت الغالبية الشيعية في البلاد **تسيطر في الوقت الحاضر على البلاد للمرة الأولى** في تـاريخ العـراق الحديث الذي يمتد الى (٨٩) عاماً . وبدأ **العيش المشترك غير المستقر** بالبروز والنشوء بين النخبـة الـشيعية الجديدة في البلاد والأقلّية السنّية التي هيمنت فيما مضى على قيادة البلاد وحملت السلاح بعـد عـام ٢٠٠٣ . وعادت **التوترات القديمة بين بغداد والشمال الكردي** مع إكتساب الحكومة الوطنية القوة والسلطة.

- ربما ستشهد الأعوام الثلاثة القادمة تعزيز وتقوية **دولة ذات نموذج سلطوي بقيادة شـيعية ترتـدي ثيـاب الديمقراطية**. وستكون المؤسسات الديمقراطية رمزية، يمكن تجاوزها بشكل كبير ويمكن التضحية بهـا بإسـم الإستقرار .

- **يريد العراقيون قائداً وزعيماً في بغداد يقوم بإتخاذ إجراءات وأعمال أحادية الجانب مـن خـلال القـوات الأمنية والعشائر والتحالفات الأخـرى** ، شخص يمكنه أن يوّفر لهم الهـدوء والإسـتقرار والأمـان والمنـافع الأقتصادية .

- إذا لم يستطع المالكي القيام بذلك **فسيأتي شخص آخر غيره جدير بهذه المهمة** . وبدون وجود مثل هكـذا قائد فإنهم يخشون رؤية البلاد وهي تنزلق مرة أخرى في صراع وحشي ، وبيئة تقوم فيها الجماعات المتحاربة بإرتكاب عمليات قتل دون عقاب والقوات الأمنية **تصبح رهينة أهواء الأطراف والأحزاب** وليس الدولة.

وللإطلاع على النص الأصلي فهو موجود على الرابط التالي:

http://www.mitpressjournals.org/toc/wopj/26/1

للمشتركين فقط

الإشتراك مجاني

يرسل طلب الإشتراك عبر البريد الألكتروني على العنوان التالي:

info@alkashif.org